مرايا جبرا ابراهيم جبرا والفن الروائى

زياد العناني

عمان- يرى الناقد سمير فوزي حاج في كتابه "مرايا جبرا ابراهيم جبرا والفن الروائي الصادر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ان تقانة "وجهات النظر" او "الرؤى" التي اتبعها وليام فوكنر في "الصخب والعنف" هي تقنية حديثة انتبه اليها النقاد في القرن العشرين.

ويشير حاج الى ان هذه التقنية السردية ذات ثلاثة ابعاد بصري وبصيري تعبيري فهي اولاً تعني موقع الراوي/ السارد من حيث الزاوية التي ينظر منها وتكون خارجية او داخلية متعددة او واحدة ثابتة او متغيرة وثانياً طريقة تقديم المادة الى المتلقي من خلال مسرودات ضميري الشخص النحوي وثالثاً بنى التمثيل في السرد وهو ما اضافة الناقد و"الاس مارتن" وشمول العلاقات بين الساردين والشخصيات وبين الشخصيات نفسها لافتاً الى ان هذا هو ما يسمى احياناً بطريقة الشخصيات العاكسة او المرايا حيث تقوم شخصيات الرواية بكشف نفسها للقارئ وهي تتحدث عن شخص اخر كما يرى الشخص الاخر من خلال وعيها.

كما يشير حاج الى ان شخصيات الرواية تمثل المرايا التي تنعكس عليها الاحداث والشخصيات الاخرى لافتاً الى ان المتلقي يستبطن العالم الداخلي لهذه الشخصيات من خلال حديثها عن الشخصيات الاخرى مشيراً الى ان مارتن والاس قد انتقد الدراسات التي تناولت تقنية وجهات نظر وأهملت معالجتها للشخص النحوي والمنفذ الى الوعي مع انها في نظره الصفات المحددة لوجهة النظر.

ويتناول حاج النظريات العامة للتقنيات الروائية الحديثة في المصادر الاجنبية وتطبيقاتها على الرواية الفلسطينية الحديثة من خلال روايات جبرا ابراهيم جبرا لكون رواياته- خصوصاً- السفينة والبحث عن وليد مسعود رائدة في استيعاب وتوظيف تقنيات الرواية الحديثة الاوروبية والامريكية بنجاح معتبراً ان جبرا من ابرز الروائيين العرب الذين اتبعوا التقنيات الروائية الحديثة في كتاباتهم خصوصاً الرؤى المتعددة والارتجاع والاستباق والتلخيص والحذف والوقف والمشهد والوسائل السينمائية والميكانيكية والتناص.

كما يتناول حاج نظريات السرد الحديثة والمتنوعة الخاصة بالرؤى المتعددة من خلال اشهر المنظرين والباحثين الغربيين والروس امثال جيرار حبينيت ورولان بارت وتزفيتان تو دوروف ودراستها من خلال نصوص جبرا الروائية.

ويشير حاج الى ان اختيار جبرا ابراهيم جبرا انموذجاً لهذا البحث لم يأت صدفة فرواياته خير مثال للمثاقفة والكونية اضافة الى كونه من رواد الروائيين العرب الكبار في استيعاب نظريات التقنيات الحديثة وتوظيفها بنجاح في اعمالهم حيث تتجلى في روايات جبرا ثقافات وحضارات الشعوب المختلفة مشيراً الى ان شخصياته تكشف معرفتها بفنون الموسيقى والرسم والنحت والرواية والشعر والفكر والفلسفة والاديان والاساطير العالمية اي انها شخصيات موسوعية تسرد للمتلقي جميع فنون المعرفة الانسانية. ويأخذ الحاج رواية السفينة نموذجاً على السرد اللغوي مشيراً الى انه وفي السفينة يتبادل السرد على ثلاثة شخوص ويدور موضوعها حول الارض والتعلق بالجذور على النقيض من مدلولها عنوانها البحري يمكن تسميتها رواية دورية اذ تبدأ كل شخصية السرد حين تكون الاحداث قد اكتملت وختمت دورتها لافتاً الى ان جبرا اتبع هذه التقنية (تعدد الساردين او تعدد الاصوات) في السفينة للكشف من تفاوت المواقف بين الساردين من موضوع الارض والجذور خصوصاً بين عصام السلمان الذي يرفض الارض ويهرب منها وبين وديع عساف المتعلق بها والحالم في العودة والهرب اليها.

ويشير حاج الى الشخصيات العاكسة- طريقة المرايا لافتاً الى انه وقبل ان يتحدث عن اسلوب المرايا او الشخصيات العاكسة في السفينة يطرح السؤال: هل اتبعت السفينة اسلوب كافكا في مذكراته حول وصف تجربة ما؟ بكلمات اخرى هل توجد احداث في السفينة تروى من وجهات نظر او رؤى مختلفة وهل يروى الحدث نفسه اكثر من مرة؟

ويرى حاج انه وعلى الرغم من تعدد الرؤى والاصوات في السفينة وتداخل الرواة في بعضهم البعض مثل مجموعة علب صينية فإن الاحداث تروى مرة واحدة اي لا يوجد حدث واحد يروى ثانية على لسان راوٍ اخر من الرواة الثلاثة عصام ووديع واميليا. مشيراً الى ان الرواة الثلاثة يموهون القارئ ويحتالون عليه حين تسرد كل شخصية حدثاً اخر غير الحدث الذي سردته الشخصية الاخرى في الفصل السابق وكأن هناك تنسيقاً بين الرواة او الساردين على عدم تكرار او سرد الحدث اكثر من مرة اضافة الى معرفة الشخصية الساردة لما سردته الشخصيات الاخرى والتناوب في السرد يأتي بعد ان تكون الشخصية الاخرى قد اكملت سردها.

Powered by: joos.co
© جميع حقوق النشر محفوظة لجريدة الغد 2017